الهمة العالية

معوقاتها ومقوماتها

تقديم

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

تأليف

محمد بن إبراهيم الحمد

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده أما بعد :

فقد اطلعت على كتاب (الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها) لمؤلفه صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد فوجدته كتاباً نافعاً ومفيداً ومشجعاً على أفعال الخير والكف عن أعمال الشرو مرغباً في التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته ونفع المسلمين بكتابه هذا إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآ له وصحبه .

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والإفتاء

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الرقم : ٢١ ٧٧ / ح التاريخ : ١٤١٧/٨/٢٨هـ المشفوعات :

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الهمَّة العالية خصلة شريفة، وخلَّة حميدة، وخلق رفيع، وأدب سامٍ، تتعشقها قلوب الكرام، وتهفو إلى اكتسابها نفوس الأبطال.

والناس إنما تعلو أقدارهم، وترتفع منازلهم بحسب أنصبتهم من علو الهمة، وشرف المقصد.

فمن علت همته اتصف بكل جميل، ومن دنت همته اتصف بكل خلق رذيل.

فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها.

والهمة العالية لاتزال بصاحبها، تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل- حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد.

والهمة العالية ـ أيضاً ـ ترفع القوم من سقوط، فتبدلهم بالخمول نباهة، وبالحطة رفعة، وبالاضطهاد حرية، وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية؛ ذلك أن علو الهمة يستلزم الجد والإباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا، والصغائر، ومحقرات الأمور.

وإن مما يلاحظ على أمة الإسلام في عصورها المتأخرة دنوَّ الهمم، والرضا بالدون، والقعودَ عن معالي الأمور، والاشتغال بالسفاسف والمحقرات، وذلك على مستوى الأفراد والجماعات، إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

ولهذا أصبحت غرضاً لأعدائها، الذين تسلطوا عليها، وجاسوا خلال ديارها، فساموها سوء العذاب، وكانت عزيزةً مهيبةَ الجناب، فهوت من عليائها، ونزلت من شامخ عزها، ولقيت صغاراً بعد شمم، وذلاً بعد عزة، وجهلاً بعد علم، وبطالة بعد نشاط، وتقاطعاً بعد ائتلاف، وكادت أن تشرف على حضيض التلاشي والفناء.

فما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ أفراداً وجماعات ـ أن نرجع إلى ديننا، وأن نعلي هممنا؛ حتى يعود لنا مجدُنا السليب، وعزتنا القعساء.

وإن مما يعين على ذلك أن تُذكى معاني الهمة، وأن تحرك في النفوس، وأن ينبري أهل العلم لاستنهاض الهمم، وبعث العزائم.

وبما أن الطرق لهذا الباب قليل، والحاجة إليه ماسة ـ تطفَّلت بكتابة هذه الصفحات مع علمي أنني لن أعطي هذا الموضوع حقه، ولن أحيط به من جميع جوانبه؛ فأنَّى لقلم بليد، وهمة قاعدة، وفكر قاصر ـ كحالي ـ أن يقوم بذلك؟؟.

وإنما هي محاولة عسى الله أن يبارك فيها، وينفع بها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الهمة العالية كغيرها من الأخلاق الفاضلة؛ فمنها ما هو غريزي جبلي فطري، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة، والممارسة، والمران كما سيأتي بيانه في تضاعيف هذا البحث ـ إن شاءالله تعالى ـ.

ثم إن للهمة العالية معوقاتٍ ومقوماتٍ، معوقات تعوق عن إدراكها،

ومقومات تنهض بالفرد والجماعة لاكتسابها والتحلي بها.

ولهذا جاء عنوان الكتاب حاملاً المسمى الآتي:

الهمة العالية

معوقاتها ومقوماتها

أما خطة البحث فقد جاءت بعد هذه المقدمة مشتملة على تمهيد، وبابين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

التمهيد وتحته:

- تعريف الهمة العالية وما يلحق بها.
- أصناف الناس في شأن الهمة.
- اختلاف الهمم والشهوات والأماني.

الباب الأول:

معوقات الهمة العالية:

وتحته ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: دنوالهمة وذمه.
- الفصل الثاني: مظاهر دنو الهمة.
- الفصل الثالث: أسباب دنو الهمة.

الباب الثاني:

مقومات الهمة العالية:

وتحته ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: علو الهمة وتحته أربعة مباحث:
- المبحث الأول: فضل علو الهمة، والثناء عليه، والحث على اكتسابه.
- المبحث الثاني: الهمة العالية، وشرف المقصد.
- المبحث الثالث: موقف الإسلام من علو الهمة.

ـ المبحث الرابع: أقوال مضيئة في الهمة.

ـ الفصل الثاني: أسباب اكتساب الهمة العالية.

ـ الفصل الثالث: نماذج رائعة للهمة العالية.

الخاتمة: وقد اشتملت على ملخص لأهم ما ورد في البحث.

هذا ما تيسر جمعه وتقييده في هذا الشأن، فلعل فيه بعثاً للهمم، وإيقاظاً للعزائم، والله المستعان، وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد

١٤١٥/١٢/٢٨هـ

الزلفي ١١٩٣٢

ص ب: ٤٦٠

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب الهمة العالية، وهذه الطبعة تحتوي على زيادات، وإضافات، وتنقيحات.

كما تحلت بمقدمة سماحة الإمام الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز الذي تكرم واقتطع جزءاً من وقته النفيس، فقرأ هذا الكتاب، وقرظه، وشجع على نشره.

وإن الإنسان لا يكاد يعدو الحقيقة إذا قال: إن هذا الإمامَ الفَذَّ رمزٌ للهمة العالية في عصرنا الحاضر؛ فقلَّ أن يوجد له نظير، وقلَّ أن تجد خصلة من خصال الخير والألمعية إلا وهي متوافرة في سماحته؛ فلقد جمع الله له من كريم الخلال، وحميد الخصال، ومن مقومات الهمة العالية ـ ما لم يُجمع لغيره إلا في القليل النادر على مر الأزمان.

ومع أنه قد جاوز السابعة والثمانين، وأهدف على التسعين من عمره ـ إلا أن همته تتجدد، ونفسه تكبر وتتسامى؛ فيزداد تحملاً للتبعات، وتضلعاً بالمسئوليات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وليـــــس لله بمستنكـــــر أن يجمع العالم في واحد

ولولا خشية رفض الشيخ، وكراهيته لما يكتب عن شخصه خصوصاً في كتاب تفضل في قراءته وتقديمه ـ لأبَنْتُ عن شيء من همته العالية، وسيرته العطرة، التي لم تعد خافية على القاصي والداني، فلعل الله ييسر فرصة قريبة للكتابة في هذا الشأن.

فأسأل الله أن يحفظ شيخنا، وأن ينسأ له في أثره، ويبارك في عمره، وأن يمتعه المتاع الحسن، ويبقيه ذخراً للإسلام والمسلمين.

كما أسأله ـ عز وجل ـ أن يجزي كلَّ من أعان على نشر هذا الكتاب خير الجزاء؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الزلفي

١٤١٧/٧/٢٢هـ

التمهيد

وتحته:

- تعريف الهمة العالية وما يلحق بها.
- أصناف الناس في شأن الهمة.
- اختلاف الهمم والشهوات والأماني.

تعريف الهمة العالية وما يلحق بها

أولاً: تعريف الهمة:

الهمة مأخوذة من الهمِّ، والهمُّ أصل صحيح.

قال ابن منظور: «والهمة واحدة الهمم، والمهماتُ من الأمور: الشدائد المحرقة»(١).

قال: «وهمَّ بالشيء يهم همّاً: نواه، وأراده، وعزم عليه»(٢).

وقال ابن فارس: «والهم ما هممت به، وكذلك الهمة»(٣).

والهمة تُنطق بكسر الهاء وفتحها.

قال ابن منظور: «الهَمَّةُ، والهِمَّة: ما هَمَّ به من أمر ليفعله، وتقول: إنه لعظيم الهمة، وإنه لصغير الهمة، وإنه لبعيد الهِمَّة والهَمَّة بالفتح»(٤).

وقال ابن القيم في تعريف الهمة: «والهِمَّة فِعْلَةٌ من الهم، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهم مبدؤها، والهمة نهايتها»(٥).

وقال الفيروزأبادي: «الهمة ما هُمَّ به من أمر ليفعل»(٦).

قال ابن فارس: «والهمام الملك العظيم الهمة»(٧).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٦٢٠.
(٢) لسان العرب ١٢/ ٦٢٠.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٣.
(٤) لسان العرب ١٢/ ٦٢١.
(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٥.
(٦) القاموس المحيط للفيروزأبادي ١٥١٢.
(٧) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٣، وانظر اللسان ١٢/ ٦٢١.

«وقيل: الهمام السيد السخيُّ الشجاع»[١].

ثانياً: تعريف العالية:

العالية اسم فاعل من الفعل علا.

«وعُلو كل شيء، وعِلوه، وعَلْوه، وعُلاوته، وعاليه، وعاليته ـ أرفعه»[٢].

«وعلا الشيء عُلوّاً فهو عليٌّ، وعَلِي، وتَعَلَّى»[٣].

وعالية كل شيء أرفعه وأشرفه.

قال الأزهري: «وعالية الحجاز أعلاها، وأشرفها موضعاً»[٤].

ثالثاً: تعريف الهمة العالية:

من خلال ما مضى يمكن تعريف الهمة العالية فيقال:

هي النية الصادقة، والعزمة الجازمة، والإرادة القوية الرفيعة، والرغبة الأكيدة في التحلي بالفضائل والتخلي من الرذائل.

والهمة توصف بالعلو، وتوصف بالدنو، فيقال: همة عالية، ويقال: همة دانية.

فالهمة العالية هي ما مضى تعريفها، والهمة الدانية بعكس ذلك.

ويقال ـ أيضاً ـ علو الهمة، ودنو الهمة.

رابعاً: تعريف علو الهمة:

«هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية، والاستخفاف

---

(١) لسان العرب ١٢/ ٦٢١.
(٢) لسان العرب ١٥/ ٨٣.
(٣) لسان العرب ١٥/ ٨٧.
(٤) لسان العرب ١٥/ ٨٧.

بأوساط الأمور، وطلبُ الغايات، والتهاون بما يملكه، وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به»[١].

خامساً: تعريف دنو الهمة:

«هو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية، وقصور الأمل عن بلوغ الغايات، واستكثار اليسير من الفضائل، واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به، والرضى بأوساط الأمور وصغائرها»[٢].

ويمكن أن يعرف دنو الهمة فيقال:

هو إيثار الدعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور.

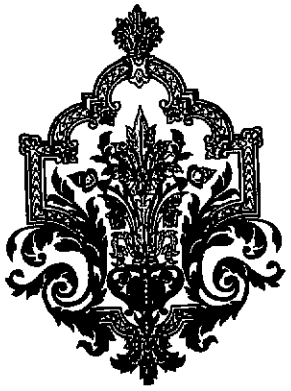

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٢٨.

(٢) تهذيب الأخلاق ص ٣٤.

أصناف الناس في شأن الهمة[١]

الناس في شأن الهمة على أربعة أصناف:

أحدهم: رجل يشعر بأن فيه الكفايةَ لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائمَ هِمَّتَه.

وهذا مَنْ يسمى «عظيم الهمة»، أو «عظيم النفس»، أو «كبير الهمة»، أو «كبير النفس».

ثانيهم: رجل فيه الكفاية لعظائم الأمور، ولكنه يبخس نفسه، فيضع همه في سفساف الأمور، وصغائرها.

وهذا من يسمى «صغير الهمة»، أو «صغير النفس».

ثالثهم: رجل لا يكفي لعظائم الأمور، ويحس بأنه لا يستطيعها، وأنه لم يخلق لأمثالها، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده.

وهذا الرجل بصير بنفسه، متواضع في سيرته.

رابعهم: لا يكفي للعظائم، ولكنه يتظاهر بأنه قوي عليها، مخلوق لأن يحمل أثقالها.

وهذا من يسمونه «فخوراً»، وإن شئت فَسَمِّهِ «مُتَعَظِّماً».

(١) انظر رسائل الإصلاح للعلامة محمد الخضر حسين ٢/ ٨٧.

اختلاف الهمم والشهوات والأماني

يختلف الناس في هممهم، وأمانيهم، وشهواتهم؛ فمنهم من تسمو همته، ومنهم من تدنو، ومنهم من هو بين بين.

وفيما يلي أمثلة لذلك[١]:

١ ـ اجتمع عبدالله بن عمر، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبدالملك بن مروان بفناء الكعبة؛ فقال لهم مصعب: تمنوا، فقالوا: ابدأ أنت، فقال: ولاية العراق، وتَزَوُّجَ سكينةَ ابنة الحسين، وعائشة بنت طلحة بن عبيدالله، فنال ذلك، وصدَّق كلَّ واحدةٍ خمسمائة ألف درهم، وجهزها بمثلها.

وتمنى عروة بن الزبير الفقه، وأن يحمل عنه الحديث، فنال ذلك.

وتمنى عبدالملك الخلافة فنالها.

وتمنى عبدالله بن عمر الجنة!.

٢ ـ **قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر**: ما السرور؟ قال: امرأة حسناء، ودار قوراء[٢]، وفرس مرتبط بالفناء.

٣ ـ **قيل لضرار بن الحسين**: ما السرور؟ قال: لواء منشور، وجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

٤ ـ **وقيل لعبدالملك بن الأهتم**: ما السرور؟ فقال: رفع الأولياء،

---

(١) انظر وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان لابن خلكان ٣/ ٢٩ ـ ٣٠، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبدالبر ١/ ١١٧ ـ ١٢٧، وانظر المحاسن والمساوىء لإبراهيم البيهقي ص ٣٠٦ ـ ٣٠٩، وكتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل لأبي الطيب محمد الوشاء ص ١٩٢ ـ ١٩٥، تحقيق د. يحيى الجبوري.

(٢) دار قوراء: واسعة الجوف.

وحطُّ الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء.

٥ ـ **وقال آخر:**

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادي واختيالٌ على متون الجياد
وأيادٍ حبوتهن كريماً إن عند الكريم تزكو الأيادي

٦ ـ **قيل لبعض الحكماء:** تمنَّ، قال: محادثةَ الإخوانِ، وكفافاً من عيش يسد خلتي، ويستر عورتي، والانتقال من ظل إلى ظل.

٧ ـ **وقيل لآخر:** ما بقي من ملاذِّك؟ قال: مناقلةُ الإخوانِ الحديثَ على التلاع العُفْر في الليالي القُمْرِ.

٨ ـ **قيل لامرىء القيس:** ما أطيب العيش؟ قال: بيضاء رعبوبة[١]، بالطيب مشبوبة[٢]، بالشحم مكروبة[٣].

٩ ـ **وقيل لطرفة مثل ذلك فقال:** مطعم شهيٌّ، وملبس دفيٌّ، ومركب وطيٌّ.

١٠ ـ **وقيل للأعشى مثل ذلك فقال:** صهباءُ صافيةٌ، تمزجها ساقية، من صوب غادية.

١١ ـ **وقيل لمَلِكٍ:** ما السرور؟ فقال: حِمىً ترعاه، وعدوٌّ تنعاه.

١٢ ـ **وقيل لراهب:** ما السرور؟ قال: الأمان من الوجل إذا انقضت مدة الأجل.

١٣ ـ **وقيل لمظلوم:** ما السرور؟ قال: كفايةٌ ووطنٌ، وسلامةٌ وسكن.

١٤ ـ **وقيل لمغنٍّ:** ما السرور؟ قال: مجلسٌ يَقِلُّ هذرُه، وعودٌ

---

(١) الرعبوبة: البيضاء الحسنة الرطبة.
(٢) مشبوبة: قد ظهر حسنها وأشرق لونها.
(٣) المكروبة: المفتولة المشبوبة.

يصفو وتره، وعقول تفهم ما أقول.

١٥ ـ **وقيل لورَّاق**: ما السرور؟ قال: جلودٌ وأوراق، وحبر برَّاق، وقلم مشَّاق.

١٦ ـ **وقيل لبعضهم**: ما السرور؟ قال: بنون أغيظ بهم عداتي، ولا تُقرع معهم صَفاتي[١].

١٧ ـ **وقيل لفتاة**: ما السرور؟ قالت: زوجٌ يملأ قلبي جَلالاً، وعيني جَمالاً، وفنائي جِمالاً.

١٨ ـ **وقيل لطفيلي**: ما السرور؟ فقال: نَدامى تسكن صدورهم، وتغلي قدورهم، ولا تغلق دورهم.

١٩ ـ **وقيل لقانص**: ما السرور؟ فقال: قوس مأطورة[٢]، وشُرعة مشزورة[٣]، ونبال مطرورة[٤].

٢٠ ـ **وقيل لمحبوس**: ما السرور؟ فقال: فكاك يَفْجَأ، وإطلاق لا يرزأ.

٢١ ـ **قال محمد الخضر حسين**:

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى ... لفتَّشتُ عن وادٍ أعيش به وحدي[٥]

٢٢ ـ **وقال**:

أنـا لـولا همـةٌ تحـدو إلـى ... خدمة الإسلام آثرتُ الحماما[٦]

وهكذا تتفاوت الهمم، وتختلف الشهوات والأماني؛ فكلٌّ يعمل على شاكلته، ولكل وجهة هو موليها.

---

(١) الصفاة: الصخرة الملساء، يعني لا يمسني أحد بسوء.
(٢) مأطورة: من أطرْت القوس إذا حنيتها فهي محنية.
(٣) شرعة مشزورة: الوتر مشدود على القوس.
(٤) نبال مطرورة: ذات طُرَّة وهيئة حسنة.
(٥) خواطر الحياة لمحمد الخضر حسين ص ٩١.
(٦) خواطر الحياة ص ٢٣٣.

«فَكِبَرُ الهمة وضعفها يمثلان لك الإنسانيةَ بالسلك الذي ينظم خرزاً كثيراً تباينت معادنها شرفاً وحِطَّةً، واختلفت مناظرها سماجةً وجمالاً»[١]..

(١) حياة الأمة لمحمد الخضر حسين ص ٣٢.

الباب الأول

معوقات الهمة العالية

وتحته ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: ذم دنو الهمة.
- الفصل الثاني: مظاهر دنو الهمة.
- الفصل الثالث: أسباب دنو الهمة.

الفصل الأول
ذم دنو الهمة

دنو الهمة مسلك دنيء، ومركب وطيء، وخلق ساقط، وعمل مرذول، لا يليق بأهل الفضل، ولا ينبغي من أهل النبل والعقل.

والناس إنما تتفاوت أقدارهم بتفاوت هممهم.

ولذلك فداني الهمة لا قيمة له ولا قدر؛ لأنه مَيَّال للدعة، مؤثر للراحة، مخلد للأرض، قاعد عن المكارم، كَلِفٌ بالصغائر، مولع بمحقرات الأمور، هَمُّهُ خاصةُ نَفْسِه، فِكْرُه محصورٌ في مطعمه وملبسه، وقوت يومه وليلته.

أما تطلاب المعالي، ونشدان الكمالات ـ فلا يخطر له ببال، ولا يحوم له حول ما يشبهه خيال.

هذه بعض ملامح دنو الهمة، وتلك بعض صفات داني الهمة، تلك الصفات التي تجعل من صاحبها غرضاً للذم، وعُرْضَةً لِلَّوم.

ولهذا عِيب على امرىء القيس قوله:

لنا غنمٌ نُسَوِّمُها غزار ... كأن قرون جلَّتها العِصِيُّ
وتملأ بيتنا إقطاً وسمناً ... وحسبك من غنىً شبعٌ وريُّ[1]

وعيب على طرفة بن العبد قوله[2]:

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٧١.
(٢) ديوان طرفة بن العبد ٣٢ ـ ٣٣.